

أى أم كلثوم تقصدون؟!

الفيلم يبحث عن "الثقوب" فى الثوب الأبيض ويمجد الملكية على حساب ثورة يوليو
هل جاء ضمن حملة شرسة وممنهجة لطمس وعينا الجمعى.. ولماذا حوّل سقوط الأولمبيا إلى لحظة "انكسار"؟

تصوير الأب والأخ كعائق والبيئة الريفية كبيئة طاردة مغالطات تناقض الواقع وتنزع الانتماء عن كوكب الشرق

النظارة السوداء تحولت بفضل ذكاء أم كلثوم إلى "أيقونة" للموضة وليس قناعاً تضطر لارتدائه ليخفيها عن الناس



حين يدرك لقب الست تكون هي وبلا منازع رغم رحيلها منذ ٥٠ عاماً.. حين يذكر الغناء العربي قديمه وحديثه تكون هي على قمته ولا يأبغ إذا قلت إذا كانت هناك أهرامات في العصر الحديث في كافة المجالات، تكون هي في المقدمة.. هي الست أو السيدة أم كلثوم.

قلت منذ فترة إننا نخوض حرباً شرسة لطمس وعينا الجمعى لثوبها بعد ذلك لقمعة سائنة أمام المترجمين بمصر، حرباً تحاول نزع هويتها وطمسها بتشويه كل ما هو مصري، لتكون مثلهم بل تاريخاً وأيقونة لثقافتنا الجمعى، والسؤال لماذا؟

لأن مصر بمفردنا تاريخ وحضارة وكل متكامل، ويتصور البعض أن وجودهم واستمرارهم الهش والشيطاني والذي طبعاً لا جدور مرتبط بمحو تاريخ مصر وحضارتها وقواها الناعمة!

والسؤال هل جاء فيلم الست الذي يتناول السيرة الذاتية لأم كلثوم ضمن هذه الحملة الممنهجة؟

تعالوا نناقش الفيلم لنصل إلى الإجابة

في البداية لا يمكن أن نقف أمام حرية الإبداع بأي شكل الأشكال، لكن الحرية ليست مطلقة إذا اصطدمت بثوابت الأمة، ولا تنهت تشويه الرموز ووصمهم بالسوء والأفلام والسلوك وأهلهم بالمأر، بصفتها لا تمت للواقع بصلة، ولا تاريخ وطنهم بالثبوت وإعلاء وتمجيد حقبة وسياسات، قامت ضدهم ثورة ونجحت في تغيير خريطة العالم الثالث، بل والعالم كله بدق آخر مسمارين في ثعلب الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية.

مثلاً الفيلم معشيد بالمغالطات التاريخية المتعلقة بملاحة أم كلثوم بأهلها، ومتدرا بتقنية ومهنية عالية ليريق السينما من المخرج مروان حامد، وهذا هو كمال السر في وضع السم في المسل لوصول إلى الجمهور المتعدد الثقافات والوعي، الآن وغداً من خلال صناعة مسرحية للوصول إلى الهدف وهو فتح التشويه التاريخي للرمز والملائمة والحقبة المهمة من تاريخ مصر.

نعم السيرة الذاتية في السينما والدراما سلاح ذو حدين: فهي إما أن تضلل الرمز بصديق إنساني يتناسع مع الواقع والتاريخ، أو تسقط في فخ الدراما المصطنعة على حساب الحقيقة التاريخية... هنا في فيلم الست، المبالغة الدرامية ناتت من صورة عائلة أم كلثوم، معولة وأقارباً ريفياً محافظاً إلى مائة المصراع الذي قد يفترق أحياناً للذقة والموضوعة.

"الوالد.. الشيوخ إبراهيم البتاجي هو المعلم الأول والداعم الأساسي لموهبة ابنته، ورغم طبيعة المجتمع الريفي المحافظ في بدايات القرن العشرين، إلا أنه هو من اصطليها للإلتحاق بملايس الأولاد ليحميها اجتماعياً، لا ليقيمه فنياً.

ولضخامة ثقافة كاتب السيناريو والحوار لم يدرك كنه العلاقة بين ناصر وأم كلثوم، والتي كانت علاقة "مشروعين": مشروع سياسي قومي ومشروع ثقافي وجداني.. عبد الناصر هو من ألقى قرار منع أغانيها الذي اتخذه بعض الضباط الأحرار بسبب غناها للملك قاتلاً جعلته الشهيرة: هل تريدون أن نحرموا الشعب من صوت أم كلثوم؟.. أهملوا الأهرامات فقد عاشت حقبة الملك.. فقد كانت أم كلثوم "شريكاً" في الثورة، ولم تكن مجرد أداة لها.

لكن الفيلم يميل لتصوير القلق الشخصي لأم كلثوم من ضياع امتيازاتها الملكية، وكان علاقتها بالثورة كانت "برامجيات" لتأمين مكانتها متجاهلاً أن أم كلثوم كانت تمهد للثورة قبل وقوعها بسنوات من خلال صفاتها تحمل نفساً اشتراكياً ودينياً تمرداً على ضداد القصر (مثل ولد الهدي وسولو قلمي)... هي من ذهبت لمبنى القيادة لتهنئة الضباط، وهي من تحولت لاحقاً إلى "مفسر متقلب" للمجهود الحربي بعد ١٩٦٧، ويجوز سفر دبلوماسي متجه لها عبد الناصر، وهو دور وطني لا يمكن اختزاله في "يغل" أو "تدخين"، أو خمر، أو قرار اتخذه ضابط صغير، إلغاء فوراً عبد الناصر، مثلاً ركز الفيلم في بعض لقطاته.

كان ناصر قاتلاً يحترم الفن، وأم كلثوم دولة فنية داخل الدولة، حيث كانت العلاقة بينهما مبنية على الاحترام والتبادل والخدمة الوطنية وللدرجة التي جعلت ناصر يقوم بالصلح الفني بين محمد عبد الوهاب وثومة ليقدمنا لنا مجموعة من أجمل الأغاني ويتابع نشاطها مع الكثير من المنابع الثقافية والفكرية..

الفيلم يبحث عن "الثقوب" في الثوب الأبيض، فركز على اللحظات الهامشية والمواقف الشخصية السدامية، مما جعل ظهور الزعيم عبد الناصر يبدو "باهتاً" درامياً، ولم ينجح في تجسيد تلك الكيمياء التاريخية التي جعلت من صوت أم كلثوم وصورة ناصر وجهين لعملة واحدة في "مصر القومية العربية" بالانفصال الحماهير حولهما حتى خارج العالم العربي.

قد يرى البعض أن تجريد الرموز من "هالتهم" هو حق مشروع للفن، لكن عندما يتحول هذا التجريد إلى تشويه وتزييف للحقائق الموقفة (مثل توقيت لقاء بين الثورة وأطريقة تعاملها مع فرقتها الموسيقية وشربها للسجائر فلم يبق إلا قيامها بالسكر في الحانات كعمال موضوعي للأزمات التي مرت بها مثلاً ترى بعض الأفلام!

ويقدم الفيلم أم كلثوم المستدلة باستغلال حاجة الموسيقين للعمل معها في أخذ أصواتهم عنوة في انتخابات نقابة الموسيقين لتتوزع بأصوات المحتاجين وليس المؤيدين... لذلك اعتقد أن الفيلم فقد قيمته كوثيقة "سيرة ذاتية" ويحوّل إلى مجرد "رواية فانتازية" لا تمت للواقع بصلة.

السقوط

ويأتى مشهد البداية والمآسرة كي الذي قدمه الفيلم وكأنه الهدف الذي حاول إخفاؤه بواقعة سقوط أم كلثوم في مسرح "الأولمبيا" في باريس بعد هزيمة ١٩٦٧ كواحدة من أكثر اللحظات دراماتيكية في تاريخها، لكن الطريقة التي عالج بها الفيلم هذه اللحظة أخرجتها من سياقها الإنساني والوطني لتضعها في إطار رمزي مثير للجدل.

فيلم سقوط "الأولمبيا" سقوط لـ "الست" أم سقوط "الصدام"؟

ذهبت أم كلثوم إلى باريس في مهمة وطنية مقدسة لجمع التبرعات لصالح المجهود الحربي بعد نكسة يونيو، والحفلة هنا "مركبة سياسية" فنية وثقافية وحضارية لإثبات أن مصر لا تزال صامدة فنياً وثقافياً رغم الانكسار العسكري ومتوازنة مع حرب الإستنزاف التي بدأها جيشنا بعد أيام ضد العدو ليتوج بنصر أكتوبر..

لكن الفيلم حول "الواقعة" إلى "توبة والفشل" بالتركيز على لحظة تمثر أم كلثوم وسقوطها على المسرح (بسبب اندفاع أحد المعجبين لتقبيل قدمها) بشكل سينمائي يوحى بأن هذا السقوط هو تجسيد لسقوط الدولة المصرية بأكملها في ذلك الوقت.. تم تصوير اللحظة ببطء درامي (Slow Motion) مع إضاءة خافتة، وكأنها نهاية "الحقبة" الخاطفة من مدير المسرح بأن الحفل فنى وليس سياسياً بعد تعالي الصيحات بين الجمهور بطلستين ومصر.. بل يظهر الفيلم أن سقوط أم كلثوم هو وليس سياسي "سقوطاً جسدياً" عارضاً، لكن "الوقوف" الذي تلاه كان هو المعجزة.. نهضت "الست" في ثوبها، وبإتسامة الواثق أكملت وصلتها الغنائية، بل واستغلت الموقف لتمنح حماس الجمهور، فلم تكن لحظة ضعف، بل كانت لحظة استعادة توازن "لمصر في قلب أوروبا.. لكن الوقت للحول والحركة البطيئة في التصوير أرادت عكس ذلك!

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".



ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

ومكايو الخ) كانت في الخمسينيات والستينيات تحت رعاية نظام يوليو.

لقد تحول فيلم "الست" من سيرة ذاتية لمطربة تاريخية إلى "مانيفستو سياسي" يعيد قراءة تاريخ مصر الحديث من وجهة نظر منحازة، من خلال تضخيم صورة الملك فاروق وتصويره كرمز للكمال المفقود، مقابل تزيين دور ثورة يوليو وتصوير لحظات سقوط أم كلثوم كرمز لسقوط الدولة، يعني سقط الفيلم في فخ التشبيص الذي أفسد القيمة الفنية للعمل، أم كلثوم "الست" لم تكن ملكية ولا جمهورية؛ لقد كانت "مصرية" فوق كل اعتبار، وكان صوتها هو القاسم المشترك الذي لم يستطع الملك ولا ناصر الاستغناء عنه، وتصويرها كأداة للمفاضلة بين العهود هو ظلم كبير لتاريخ "فاطمة إبراهيم البتاجي".

بقلم: يسرى السيد